اشكالية الاقصاء الاجتماعي في مدينة بغداد

أ. م. د. محمد صالح ربيع العجيلي

كلية التربية- قسم الجغرافية - الجامعة المستنصرية

المقدمة :

يعتبر المجتمع العربي واحداً من اقدم المجتمعات ، مرت عليه تجارب وتقلبات كثير ومتنوعة طالت مختلف الانشطة الاقتصادية والعلاقات الاجتماعية، تجارب تمخضت عنها اشكال متنوعة من الانظمة السياسية شملت المدينة والامارة والدولة ، صاحب ذلك تغيرات اجتماعية متعددة ، تمثل المدينة ساحة هذه التغيرات ، وكان نموها الحضري السريع اشد هذه التغيرات وطأة عليها ،بحيث تحولت الحياة فيها الى جملة من الازمات والاختناقات في كل الميادين .

لذا جاء هذا البحث لدراسة الحياة الحضرية في واحدة من المدن العربية ، اذ تمثل مدينة بغداد انموذج للمدن العربية وبخاصة الكبيرة منها ،تلك التي تعج بمشاكل لا حصر لها ، بفضل سعتها وحجمها ، والارتباك الذي حصل بين قديمها وعصرنتها . بغية الدخول الى تفسير مظهر من مظاهر هذه المشاكل ، ممثلاً بالتنظيم الاجتماعي في المدينة،وتأثير ذلك على عملية الاقصاء الاجتماعي .

اما مشكلة البحث فقد صيغت بالتساؤل الاتي :

- الى اي حد تسهم العوامل الاجتماعية والاقتصادية والتنظيمية في عملية الاقصاء الاجتماعي في مدينة بغداد ؟

الاقصاء الاجتماعي في مدينة بغداد :

ان مجتمع مدينة بغداد كغيره من مجتمعات المدن العربية يتميز بكونه من المجتمعات التي اصابها التحضر السريع ، حيث بلغ حجم المدينة درجة عالية من الضخامة والتوسع (من ناحية عدد السكان ومساحة المدينة) خلال سنوات قليلة وفي فترة تعتبر قياسية مقارنة بمدن اخرى من الحجم في اوربا مثلاً ، حيث استغرقت المدن هناك اكثر من مئة سنة للوصول الى حجمها وسعتها الحالية ، بلغ عدد سكان مدينة بغداد عام ١٩٨٧ (٣٨٤١٢٦٨) نسمة بزيادة قدرها (١١٦٥٦٥٦) نسمة عن عام ١٩٧٧ البالغ (٢٦٧٥٦١٢) نسمة، ووصل سكان المدينة(٤,٤) مليون نسمة عام ١٩٩٠ ، وفي عام ٢٠٠٠ بلغ عدد السكان (٥,١٣٩) مليون نسمة[١] .

اما مساحة المدينة فقد بلغت (٨٥٠) كليو متر مربع ، اي ان مساحتها قد تضاعفت اكثر من ثماني مرات عما كانت عليه في منتصف القرن العشرين (١٠٠) كليو متر مربع .

ان مدينة بغداد كونها عاصمة البلاد ، اصبحت المدينة الاولىفي القطر على مستوى وظائفها الادارية والاقتصادية والثقافية ، وترتب على ذلك هجرة اعداد غفيرة من سكان المحافظات اليها ، واغلب هذه الهجرة من الريف ، نظراً لعوامل الجذب العديدة في بغداد كتوفر فرص العمل ، وارتفاع الاجور ، وتوفر الخدمات الاجتماعية والصحية والتعليمية ، وتوفر وسائل اللهو والترفيه قياساً ببقية مدن القطر الاخرى .

ونتيجة لهذا التراكم الكمي للسكان والخدمات والاستثمارات وعدم وجود جهاز تخطيطي كفوء يسيطر عليه، اصبح شكل المدينة مبعثراً، ووظائفها مخلخلة ، وفقدان الاحياء السكنية الجديدة المرافق الخدمية الضرورية (تعليمية ،صحية، ثقافية) احياناً والعامة (ماء المجاري، التخلص من النفيات الصلبة) احياناً اخرى .

وبمرور الزمن تفاقمت المشاكل والازمات واصبحت معضلات بعاني منها مجتمع مدينة بغداد ، وهذه المشاكل نجملها كالاتي: مشاكل ديموغرافية ، مشاكل النقل والمرور ، المشاكل الاجتماعية ، المشاكل العمرانية واستعمالات الارض ، مشكلة السكن ، مشكلة الخدمات ،مشاكل التلوث ، ولا يمكن الخوض في تفاصيل هذه المشاكل هنا ،بقدر ما نشير الى ان كل مشكلة منها كانت لها بصماتها الواضحة في تدهور حياة كل فرد من افراد المجتمع .

١. اسلوب المسح الميداني :

أ. الاستبيان (Questionnaires) :

يمثل الاستبيان ركناً اساسياً في الدراسات الميدانية ، وبخاصة المجتمعات الكبيرة ، وتمثل الاسرة هنا عماد هذا الاستبيان باعتبارها الوحدة الاساسية للعلاقات الاجتماعية في المدينة، وبذلك تم الاعتماد على الاستبيان الاسري(*) الذي يعد من اشهر الاستبيانات واكثرها استعمالاً في الدراسات المجتمعية(٢) .

ب. عينة الدراسة :

لعل من الصعوبة بمكان دراسة مجتمع كبير كمجتمع مدينة بغداد بشكل كامل ، الامر الذي دعى الباحث الى اختيار عينة (Sample) من الاسر وبنسبة مقبولة بحيث تكون ممثلة لجميع الاسر في بغداد تمثيلاً صحيحاً .

وفي ضوء عدد سكان مدينة بغداد عام ٢٠٠٤ البالغ (٥,٧٥٠) مليون نسمة، بلغ عدد الاسر المشمولة بالاستبيان (١٠٧٩) اسرة ،وهذا يمثل نسبة (٠,١٤٪) من عدد الاسر في المدينة البالغ (٧٩٨٦١١) اسرة عام ٢٠٠٤[٣].

جـ. تحليل النتائج :

تم الاعتماد على مركز الحاسبة الالكترونية في عملية تحليل البيانات بعد ادخالها في الحاسبة وخزنها،وتم الحصول على النتائج من خلال برنامج الجداول المتقاطعة (Crosstabs) ضمن نظام (Spss) وباستخدام الحاسب (IBM) . واختبرت النتائج من خلال مربع كاي (Chi Square) بوصفه افضل الطرق الاحصائية اللابارامترية (اللامعلمية) ، ومن خلال مقارنة القيم العملية (المستخرجة لاختبار مربع كاي ضمن درجات الحرية (Degrees of Freedom) مع القيم النظرية (الجدولية) للاختبار وبمستوى دلالة معتمد (٥٪) تم الكشف عن مستوى الترابط بين المتغيرات من حيث درجة الاقتران او اعتماد كل متغير على الاخر وما يفضي ذلك من اعتبارات او اختلافات اجتماعية بين السكان .

اما وحدات القياس التي تم الاعتماد عليها لاغراض التحليل هي :

١. المستوى النوعي (الحضاري) للحي السكني .
٢. ملائمة المسكن .
٣. مستوى الدخل .
٤. مستوى التعليم .
٥. وحدات قياس اخرى .

١. <u>المستوى النوعي (الحضاري) للحي السكني</u> :

يشمل المستوى النوعي للحي السكني مؤشرات عن ملائمة البيئة الحضرية للافراد من حيث موقع الحي السكني داخل المدينة، ومستوى الخدمات الحضرية المؤمنة له والتي تنعكس مباشرة على رضى الافراد وتفاعلهم الايجابي في مجتمع المدينة، هذه الامور لها اكبر الاثر في انتاجيتهم الاقتصادية وتحقيقهم لسبل الرزق الامثل ، وعلى عكسه تماماً ما نجده في مدننا العربية ففي المغرب نجد مدن الصفيح، وفي مصر يسكن الناس في المقابر، وفي السودان نجد مدن الكرتون وفي السعودية بيوت الشعر وهكذا .

مرت مدينة بغداد بمراحل ازدهار ونمو معماري ووظيفي وعلاقات مكانية واسعة مع اقاليم كبيرة خلال مراحلها المورفولوجية المختلفة ، ولكنها ايضاً تعرضت لاحداث مدمرة خلخلت بنيتها الوظيفية ومعالمها وخططها وتركيبتها السكانية .ان اهم مايميز مدينة بغداد حالياً هو انها مدينة معقدة جراء تضخمها السكاني وتراجع كبير في مستوى خدماتها ،وتوسعها الافقي بعد ان اضيفت اليها احياء جديدة، فضلاً عن التداخل الوظيفي الذي ولدّ ارباك واضح في تأدية وظائفها ، ولتسهيل فهم المدينة وتركيبها العمراني يمكن القول انها متكونة من ثماني مناطق متميزة ومختلفة من حيث نموها وعمرانها وخطط شوارعها واصول سكانها. وهناك عدد من العوامل الدينمية اثرت في تكوينها متمثلة بالعوامل الاجتماعية والحكومية والاقتصادية والتكنولوجية[٤] وهذه المناطق جاءت متماشية ومتلائمة مع الوحدات البلدية للمدينة.

اظهر المسح الميداني من خلال بيانات الجدول (١) ان مستوى الرضى لسكان بغداد بالنسبة للمستوى النوعي للحي السكني متبايناً على مستوى الوحدات البلدية ولكن على العموم شكل معدل الرضى لجميع السكان نسبة(٧٤٪) من حيث ملائمة الموقع و(٧٩٪) بالنسبة للعلاقات الاجتماعية و(٥٦٪) بالنسبة للخدمات الصحية و(٢٩٪) بالنسبة لخدمات المجاري و(١٨٪) بالنسبة للنقل والمرور وادنى نسبة كانت لخدمات الماء والكهرباء (١٤,٨٪) .

وما يلاحظ على العلاقات الاجتماعية ،ان الاحياء التي تمتاز بمستوى حضاري عال كحي المنصورة والدورة وفلسطين والرشيد ،فان مستوى الرضى كان متدنياً عن طبيعة العلاقات الاجتماعية، على العكس من الاحياء التي تتميز بمستوى حضاري متوسط او متدني والذي يشمل بقية الاحياء التي لم تذكر آنفاً. وهذا يؤكد ان العلاقات الاجتماعية في المدينة تتناسب عكسياً مع درجة تطور المدينة، اذ ان التطور بصفته يعقد الحياة المدينية في مختلف اوجهها وبالتالي يزيد من حدة التوتر الاجتماعي، وهذا ما يلاحظ بشكل بارز في المدن الغربية[٥]، ومن جانب اخر فان الاحياء التي تتميز بقدمها ذات علاقات اجتماعية اقوى من الاحياء الجديدة، كاحياء الكرخ والرصافة والاعظمية والكاظمية، اذ ان سكان هذه الاحياء يمثلون السكان الاصليون في المدينة، وبالتالي فان درجة التعارف والتلائم والانسجام فيما بين سكانها تكون كبيرة، اما الاحياء الجديدة فان اغلبهم يمثلون المهاجرين من الريف الى المدينة ، اي ان درجة التعارف والانسجام بينهما تكون ضعيفة نوعاً ما .

اما بالنسبة للمؤشرات الاجتماعية الاخرى كالخدمات الصحية والمجاري والمرور والماء والكهرباء فانها تمثل نتيجة منطقية لما مرت به المدينة من ويلات الحرب والدمار الذي اصابها ، وبالتالي فانها تشكل عوامل ضعف في البنية الاجتماعية ومن ثم تردي العلاقات بين سكان المدينة على مر الزمن ، بسبب ما توجده من اسباب التوتر والانفعال والقلق النفسي لسكان بغداد . وعند الرجوع الى استمارة الاستبيان ،فان اكثر الاسر التي ابدت عدم رضاها عن الحي الذي تسكن فيه هم

سكان حي الرصافة والثورة وبنسبة (٤٦٪) و(٥٥٪) لكل منهما على التوالي ،اما حي الرصافة فيعود عدم الرضى بسبب تهرؤ مساكنهم وقدمها، فضلاً عن ضيق الازقة الملتوية فيها والتي هي نتاج لعمرها الزمني وعدم خضوعها للتخطيط الحديث ، اما بالنسبة لحي الثورة فهو يمثل ضاحية مكتظة بالسكان ،الامر الذي اضعف كثيراً من مستوى خدماته الاجتماعية وبنيته التحتية . وتعود الكثافة السكنية فيه الى اسباب كثيرة لعل اهمها عامل القرابة ، والذي اجاب عنه (٧٤٪) من المستجوبين من ان سكنهم في هذا الحي يعود لوجود اقارب لهم يسكنون فيه .

٢. ملائمة المسكن :

تؤثر خصائص السكن من حيث الموقع والحجم والنوعية والتركيب وما تتوفر فيه من سلع وخدمات وحديقة منزلية وما يحيط به من بيئة وتسهيلات تأثيراً كبيراً على انشطة الاسرة وحالتها الصحية ونظرتها للحياة وعلاقاتها الاجتماعية بل قد تؤثر على توجهاتها السياسية والدينية ، ومن الناحية الاقتصادية، يأتي السكن بعد المواد الغذائية من حيث اهميته النسبية ضمن الانفاق الاستهلاكي للاسرة .

توجد في مدينة بغداد اربعة انماط من المساكن هي[٦] :

أ. البيوت العربية التقليدية .

ب. البيوت العربية التقليدية المحورة .

جـ. البيوت العربية المسقوفة .

د. البيوت الغربية .

يتفق النمط الاول مع نظام الازقة الملتوية في مركز المدينة (الكرخ والرصافة) ويرتبط النمط الثاني مع الشوارع المستقيمة (حي الثورة) اما بيوت النمطين الثالث والرابع فيتداخلان في نفس المحلات السكنية ، الا ان النمط الاخير يعطي الشارع طابعه الغربي .

وقد اظهر المسح الميداني لمختلف اجزاء المدينة بان الازدحام السكني يصل الى اشده في المدينة القديمة ،اذ يصل معدل افراد البيت الى (٩) اشخاص في حين يقل عن (٥) اشخاص في الاحياء الحديثة . وفي ضوء بيانات الجدول (٢) يمكن تصنيف الاسر في مدينة بغداد الى اربعة اصناف من حيث سعة المسكن وكالاتي :

أ. الاسر التي تسكن في بيوت تقل مساحتها عن (٢٠٠م٢) وشملت (٣٣٤) اسرة وبنسبة (٣١٪) من الاسر ، ومع تباينها على مستوى الوحدات البلدية ، حيث احتلت وحدة بلدية الثورة على

اعلى نسبة من الاسر التي تسكن في مثل هذا الصنف وبنسبة (٧٩٪) بينما كانت وحدة بلدية فلسطين اقل الوحدات وبنسبة (٥٪) .

ب. الاسر التي بلغت سعة بيوتها بين (٢٠٠-٤٠٠ م٢) وتضم (٤٥٣) اسرة وبنسبة (٤٢٪) من الاسر ، وجاءت وحدة بلدية الرشيد بالمرتبة الاولى من حيث نسبة الاسر الساكنة في مثل هذه السعة (٦٥٪) فيما احتلت وحدة بلدية المنصور اقل بنسبة (٦٪) .

جـ. الاسر التي تسكن بيوتاً سعتها تتراوح بين (٤٠٠ - ٦٠٠م٢) بلغت (١٦١) اسرة وبنسبة (١٥٪) وابعدت عن هذه الصنف تماماً الاسر الساكنة في بلدية الثورة .

د. الاسر التي تسكن بيوتاً سعتها اكثر من (٦٠٠ م٢) بلغت (١٢٩) اسرة وبنسبة (١٢٪) احتلت بلدية المنصور المرتبة الاولى وبنسبة (٧٤٪) من اسرها تسكن في بيوت بمثل هذه السعة او اكثر . فيما ابعدت بلديات الكرخ والرصافة والثورة عن هذا الصنف .

وتأسيساً على ذلك ، فانه اذا اعتبرنا الصنف الثاني كمتوسط لمستوى نوعية المسكن فان اغلبية الاسر في بغداد تعيش في مساكن هي دون المتوسط بشكل عام ، وما لذلك من انعكاسات غير مشجعة من حيث قوة فعالية الاسرة في المجتمع .

اما من حيث ملكية المسكن ، فقد ظهر من المسح الميداني ان (٨٠٩) اسرة اي بنسبة (٧٥٪) تسكن في مساكن ملكاً لها ، فيما بلغت نسبة الاسرة التي تسكن في بيوت مؤجرة (٢٥٪) ، وبعبارة اخرى ان ربع الاسر في مدينة بغداد لا يمتلكون داراً سكنية هي ملكاً لهم . ويمكن ادراك مدى المأساة التي تعاني منها هذه الاسر في ضوء ارتفاع قيمة الايجارات الى جانب ثبات الاجور التي تتقاضاها الاسرة ،فضلاً عن ارتفاع المستوى المعاشي العام في المدينة وزيادة متطلبات الحياة الامر الذي يزيد من عسر الحياة لمثل هذه الاسر، ومن ثم ضعف في فعاليتها الاجتماعية داخل المجتمع .

وبالنظر ما للحديقة المنزلية من اهمية كمتنفس طبيعي للاسرة ، فان الاسر التي تسكن في بيوت فيها حديقة منزلية بلغ (٤٤٨) اسرة وبنسبة (٤١٪) ، فيما بلغ عدد الاسر التي تسكن في بيوت لا يوجد فيها حديقة (٦٣٦) اسرة وبنسبة (٥٩٪) وهي نسبة كبيرة ،فضلاً من ان عدم وجود حديقة في المسكن يضفي دلالة اخرى على عدم كفاية المسكن من جهة وضعف مستوى الحي السكني والبيئة الحضرية من جهة اخرى.

٣. مستوى الدخل :

هناك علاقة قوية بين دخل الاسرة الشهري ومستوى رفاهيتها ، وبالتالي زيادة تفاعلها الاجتماعي واندماجها مع الاسر الاخرى ضمن محيطها ، اذ ان الاسر الغنية غالباً ما تتفرغ لبناء

علاقات اجتماعية وطيدة ،وزيادة فاعليتها ونشاطها في المجتمع ، لان ذلك يمثل من الوجهة الاجتماعية نوعاً من السمو والرفعة لها الى جانب غناها الاقتصادي .

ويلاحظ من خلال تتبع الدخل لسكان بغداد ان هناك فرقاً واضحاً في نموه ناتج عن ارتفاع وتيرة الحياة وزيادة متطلبات الفرد ، فقد ازداد معدل دخل الاسرة من (١٤٣) دينار عام ١٩٨٠ الى (٢٠٧) دينار عام ١٩٩٠ ،وبمعدل زيادة سنوية للدخل الفردي وبالاسعار الثابتة والتي مقدارها (٣,٥٪) . وارتفع هذا الدخل الى (٢٤٠) دينا شهرياً عام ٢٠٠٠ وباسعار عام ١٩٨٠ ثم الى (٤٠٠) دينار عام ٢٠٠٣ وباسعار عام ١٩٨٠ ايضاً ،نظراً للظروف الاقتصادية الظارئة التي مرت بها البلاد للفترة من عام ١٩٩٠ لغاية ٢٠٠٣ .

اظهرت الدراسة الميدانية ان معدل دخل الاسرة الشهري لعام ٢٠٠٤ قد بلغ (٢٩٠) الف دينار ، توزعت الاسر حسب مستويات دخولها الشهرية الى ثلاث فئات الجدول (٣) . وقد ظهر ان (٣٧٪) من الاسر تتمتع بمستوى دخل اقل من المعدل العام ،فيما ترتفع عن المعدل العام (٤٥٪) من الاسر ، بينما تقع نسبة (١٧٪) من الاسر ضمن المتوسط العام للمعدل .

وللدخل الاسري اثر واضح في مسكن ومأكل وملبس الاسرة ،وتأسيساً على ذلك ،فقد ظهر ان (٣٩٪) من الاسر في مدينة بغداد افصحت عن رضاها عن مستوى عيشها ،اما نسبة الاسر الغير راضية عن مستواها المعاشي بلغت (٤٣٪) ، فيما وقعت النسبة البالغة (١٨٪) من الاسر بانها مقتنعة عن مستوى عيشها ، وذلك يعطي مؤشراً عاماً عن انخفاض المستوى المعاشي لسكان بغداد عموماً .

٤. مستوى التعليم :

يتكون البناء الاجتماعي في المدينة بصفة عامة من مجموعة متصلة ومنمطة من العلاقات الاجتماعية وانماط حضارية ومستويات تعليمية متفاوتة وامزجة وميولاً متباينة ،والتي برز من خلالها ادوار الافراد ووظائفهم .وللتجانس الثقافي والتعليمي دوراً مؤثراً على تكوين الطبقة الاجتماعية والتدرج الاجتماعي من حيث تحديد علاقاتها بغيرها من الطبقات .

ولعل من اكثر المشاكل الاجتماعية التي ظهرت في المجتمع الحضري هو الفارق الثقافي والتعليمي بين سكان الحضر وسكان الريف المقيمين في المدن بعد ان نزحوا اليها .بل حتى بين سكان المدينة الاصليين انفسهم ، والذي انعكس على درجة الانسجام والتوائم بينهما ، وهو امر بديهي، اذ يواجه ابناء الريف في الحضر صعوبة التكيف الاجتماعي مع اطار ثقافي مغاير، واسلوب جديد من الحياة ونمط مختلف من العيش والذي يتطلب وقتاً ليس بالقصير لغرض التكيف مع عناصر المجتمع الحضري .

وقد ظهر من المسح الميداني ان (٢١٪) من ارباب الاسرة في مدينة بغداد هم اميون ، يقابل ذلك (٥٪) من يحملون شهادات عليا، اما النسبة التي احتلت المرتبة الاولى ضمن المستويات التعليمية لارباب الاسر في بغداد فهي (٣٥٪) للذين حصلوا على الشهادة الابتدائية الجدول (٤) .

وفي ضوء هذه النسب يمكن للمرء ان يتخيل مستوى العلاقات الاجتماعية بشكل عام من حيث مستوى الانسجام الثقافي والفكري ، ومن حيث اكتساب درجة الحضرية بالنسبة لهؤلاء لكي تهيء لهم عملية المشاركة والاندماج في الفعاليات الحضرية والانشطة الاجتماعية.

اما عن درجة الانحدار العائلي ، فقد ظهر ان (٣١٪) من الاسر ذات انحدار ريفي زراعي وممن لم يولدوا في مدينة بغداد(*) وهؤلاء يمثلون ثلث سكان المدينة، ومما يزيد من تعقيد المشكلة الاجتماعية في المدينة، ان هؤلاء هم ارباب الاسر ، اي انهم جاءوا الى المدينة بعد سن النضج ناقلين معهم عاداتهم وتقالديهم ونمط الحياة الريفية التي تتعارض تماماً مع نمط الحياة الحضرية ،ثم انهم استطاعوا التوغل في مختلف مفاصل الحياة الحضرية بمحلاتها وانشطتها ودوائرها الحكومية . وبالتالي فان الاحتكاك قائم بين هؤلاء وبين غيرهم من الطبقات الاجتماعية الحضرية ، وما نرصده اليوم من اشكالات في العلاقات الاجتماعية ما هو الا وليد ذلك الاحتكاك .

٥. وحدات قياس اخرى :

أ. عدد افراد الاسرة :

من المعروف انه كلما زاد عدد افراد الاسرة وبخاصة الاطفال كلما ارتفع مستوى الاعالة والعكس صحيح ،وارتفاع مستوى الاعالة يثقل كاهل الاسرة ومن ثم يخفض من مستواها المعاشي الذي له علاقة قوية مع مستوى الاسرة الاجتماعي وطبيعة تفاعلها في المجتمع .اذ ان تفاعل الاسرة الاجتماعي يزاد طردياً مع رخائها الاقتصادي .

بلغ عدد افراد الاسرة البغدادية (٨,٨) فرداً سنة ١٩٧١ ثم (٧) افراد سنة ٢٠٠٠ . وتبعاً لذلك انحدر معدل افراد الاسرة من (٥,٤) فرد للاسرة سنة ١٩٧١ الى (٤,٢) فرداً سنة ٢٠٠٠ .

وظهر من المسح الميداني ان معدل افراد الاسرة في بغداد بلغ (٤,٦) فرداً، وهومعدل معتدل مقارنة بين سنتي ١٩٧١ و٢٠٠٠ ،وبالتالي يعطي مؤشراً عن انخفاض مستوى الاعالة.

ب. تغيير محل السكن :

ان تغيير سكن الاسرة في المدن يعد امراً اعتيادياً يترافق مع التبدلات الاجتماعية والاقتصادية للاسر . اي الانتقال من حي ذات مستوى متدني في خدماته الحضرية الى حي اخر افضل منه الا ان انتقال الاسرة بين الاحياء لاسباب قسرية – اجتماعية ،يدخل ضمن الاقصاء الاجتماعي في المدينة،

وهذا ما اجاب عليه (٢٩٪) من الاسر كان انتقالها او تغيير محل سكناها لاسباب اجتماعية تتعلق بناحيتين :

أولاهما. أسر ذات مستوى اقتصادي عال ،واخرى ذات مستوى تعليمي وثقافي عال ، ارادت تغيير سكنها لكي تبتعد عن الاسر التي هي اقل منها مستوى .

ثانيهما. أسر ذات اتحدار ريفي وذا مستوى اقتصادي وتعليمي متدني انتقلت الى مناطق في المدينة تنسجم وفق مستواها .

وبهذا حدثت عمليتين انتقاليتين متعاكستين تماماً كل منها يتطلع الى الاندماج الاجتماعي مع الفئات المناظرة لها، الامر الذي يشير الى ان هناك احتكاك سلبي بين فئات المتجمع ، يقابله رغبة لاستبداله باحتكاك اجتماعي ايجابي وبناء ، وهو احد السبل لردم هوة التثاقب الاجتماعي في المدينة. وهذه النسب من الاسر يبدو انها متداخلة بين احياء المدينة بعيداً عن السمات المميزة لكل حي او انها جاءت لاسباب خارجة عن ارادتها في اول الامر .

الخلاصة والاستنتاجات :

يتجه العالم بشكل عام في بداية الالفية الثالثة نحو عملية تحضر مفتوحة، اقل ما توصف بانها علامة تحذير بقرب قيام المدينة العالمية ، ذلك بفضل قدرة المدينة على استيعاب وتوفير شتى المظاهر وصور التعبير الاجتماعية والثقافية والسياسية والمعمارية والفنية ،والتي اذا توافرت لها التيسيرات المناسبة فان من شأنها ان تثري الانتاجية الحضرية ،لكن واقع المدينة وبخاصة المدينة العربية ظهر عكس ذلك ، فقد شهدت مدن معظم الدول العربية نمواً سكانياً كبيراً بسبب ازدياد الهجرة اليها من الريف والزيادة الطبيعية .فقد ادت الهجرة الجماعية الى المدن دوراً سلبياً في حياة المجتمع الحضري من حيث انها اوجدت قطاعات ثقافية مختلفة ومنعزلة عن الاخرى رغم التشابه في الثقافة المادية والاشتراك المعيشي في المدينة، ومستوطنات عشوائية سكانها من فئات عرقية وجغرافية مختلفة يجمعها التصنيف الطبقي من حيث تدني الدخل او الفقر .

وأضحت المدينة العربية عرضة لمشكلات وتحديات كبيرة يتصل بعضها بتدهور البيئة الحضرية وضعف قدراتها على تلبية احتياجات السكان من الخدمات الضرورية والبنى الارتكازية . ويتصل البعض الاخر بالتحضر السريع وما تركه من آثار سلبية كاختلال التوزيع المكاني للسكان ، وارتفاع الكثافات السكانية ،وتزايد درجة الازدحام ،وما تولد عنه من فقدان لفرص العمل وزيادة نسبة البطالة ، وزيادة حدة الفقر والاندماج الاجتماعي .وبالتالي انتشار العديد من العلل الاجتماعية والاقتصادية ، كان الاقصاء الاجتماعي في اولوية النتائج المتمخضة عن الوضع السيء الذي تعيشه

مدننا العربية ، خاصة اذا ما علمنا ان نصف سكان الحضر في بعض البلدان العربية يعيشون في مناطق سكنية ذات دخل منخفض .واتضح من المسح الميداني لمدينة بغداد ارقام مخيفة عن حقيقة المشاكل التي تعاني منها المدينة،متمثلاً على وجه الخصوص بتردي الخدمات العامة والبنى الارتكازية وسوء ظروف المسكن ،ومشاكل المرور، ودخل الاسرة ،ومستوى التعليم ،وتدني المستوى المعاشي ، فقد بلغت نسبة الاسر غير الراضية عن مستواها المعاشي (٤٣٪) . وان (٣٧٪) من الاسر تتمتع بمستوى دخل شهري اقل من المستوى المطلوب،ويسكن (٣١٪) من الاسر في بيوت ذات مساحة اقل من (٢٠٠م٢) فيما بلغت نسبة المساكن التي لا تحتوي على حديقة منزلية (٥٩٪) .اما الاسر التي لا تحصل على خدمات صحية جيدة بلغت نسبتها (٤٤٪) ،بينما لا تلبي خدمات الماء والكهرباء سوى (١٤,٨٪) من الاسر ،وتكفي خدمات النقل والمرور لـ (١٨٪) من الاسر فقط .واضفى ذلك الى ضعف العلاقات الاجتماعية التي كانت متميزة فقط داخل الحي لسكني بالنظر لتجانس سكانه من حيث الانحدار الطبقي والثقافي والاقتصادي ، لكن هذه العلاقات ظلت ضيئلة على مستوى مجتمع المدينة وبخاصة بين الاحياء الراقية والاخرى الاقل منها رقياً ، وهذا الامر ترتبت عليه نسبة (٢٩٪) من الاسر التي اضطرت لتغير محل سكناها بحثاً عن علاقات اجتماعية بناءة في محلات سكنية تنسجم مع مستواها العام ، وهذه النسبة تقترب كثيراً من نسبة الاسر ذات الانحدار الاجتماعي الريفي التي بلغت (٣١٪) . اما نسبة الامية بين ارباب الاسرفي بغداد تعتبر كبيرة جداً لمدينة تمثل عاصمة الدولة التي بلغت (٢١٪) الى جانب اصحاب الشهادات الدنيا وبخاصة الابتدائية البالغة (٣٥٪) من ارباب الاسر في المدينة ، وهذا يعني ان اكثر من نصف سكان المدينة ممن يندرجون ضمن مستويات تعليمية واطئة جداً مقارنة بنسبة (١٦٪) و (٥٪) لذوي الشهادات الجامعية والعليا منهما على التوالي ، هذا اذاكانت هذه النسب في المدينة- العاصمة، يمكننا اذن ادراك المستوى التعليمي في المدن الاخرى التي هي غالباً ادنى مستوى من العاصمة في مختلف مؤشرات الحياة الاجتماعية وفي معظم البلاد العربية .

جدول رقم (١) : درجة الرضا عن المستوى النوعي للحي السكني في مدينة بغداد

الوحدة البلدية	عدد الأسر	النسبة المئوية لدرجة رضا الأسر					
		ملائمة الموقع لتطلعات الأسرة ٪	العلاقات الاجتماعية ٪	خدمات صحية ٪	خدمات المجاري ٪	خدمات النقل والمرور ٪	خدمات الماء والكهرباء ٪
الرصافة	٣٦	٤٦	٨٣	٦٦	٥٢	٢٧	١٧
الكرخ	٣٨	٦٤	٦٨	٧١	٥٥	٤٧	١٦
الأعظمية	١٣٧	٨٦	٩٥	٦٤	٢٠	١٥	١٥
الكاظمية	١٣٧	٩٠	٨٦	٦٦	٢٨	١٣	١٨
مدينة الثورة	٢١٦	٥٥	٩٣	٤١	١,٨	٦,٩	١٢

الوحدة البلدية	عدد الأسر	النسبة المئوية لدرجة رضا الأسر					
		ملائمة الموقع لتطلعات الأسرة ٪	العلاقات الاجتماعية ٪	خدمات صحية ٪	خدمات المجاري ٪	خدمات النقل والمرور ٪	خدمات الماء والكهرباء ٪
المنصور	٨١	٩٦	٦٠	٧٥	٧٥	١٢	١٧
بغداد الجديدة	١٠٧	٨٢	٧٥	٥١	١١,٢	١٥,٨	١٩
الرشيد	١٢٣	٦١	٦٦	٦٤	١٣,٨	٣٩	١١
الكرادة الشرقية	٧٢	٨٥	٨٤	٦٢	٣٨	٢٩	١٤
الدورة	٥١	٧٩	٥٦	٥١	٤٥	٢١	١٣
فلسطين	٨١	٨٨	٥٤	٤١	٧٥	١١	٢١
المجموع	١٠٧٩	المعدل ٧٤٪	المعدل ٧٩٪	المعدل ٥٦٪	المعدل ٢٩٪	المعدل ١٨٪	المعدل ١٤,٨٪

المصدر : الدراسة الميدانية ، تحليل إستمارة الإستبيان .

جدول رقم (٢) : ملائمة المسكن للاسر في مدينة بغداد

الوحدة البلدية	عدد الأسر	مساحة السكن				ملكية الأسر للمسكن		المساكن التي تحتوي على حديقة منزلية ٪
		أقل من ٢٠٠م٢ ٪	٢٠٠-٤٠٠م٢ ٪	٤٠٠-٦٠٠ م٢ ٪	٦٠٠ م٢ فاكثر ٪	ملك ٪	إيجار ٪	
الرصافة	٣٦	٤١	٥٠	٩	–	٩٧	٣	–
الكرخ	٣٨	٤٣	٤٥	١٢	–	٧٦	٢٤	–
الأعظمية	١٣٧	٢٣	٥٥	١٧	٦٪	٧١	٢٩	٢٣٪
الكاظمية	١٣٧	٢٥	٦١	٩	٥	٧٠	٣٠	٢٥
مدينة الثورة	٢١٦	٧٩	٢١	–	–	٩٨	٢	١٪
المنصور	٨١	–	٦	٢٠	٧٤	٩٠	١٠	١٠٠٪
بغداد الجديدة	١٠٧	١٣	٥٢	٣٠	٥	٦٨	٣٢	٦٦
الرشيد	١٢٣	٢١	٦٥	١٠	٤	٥٣	٤٧	٦٩
الكرادة الشرقية	٧٢	١٤	٤١	٢٥	٢٠	٦٢	٣٨	١٩
الدورة	٥١	٨	٥٢	٣٠	١٠	٦٢	٣٨	٩٦
فلسطين	٨١	٥	٢٢	٥٣	٢٠	٦٤	٣٦	٩٩
المجموع	١٠٧٩	المعدل ٣١٪	المعدل ٤٢٪	المعدل ١٥٪	المعدل ١٢٪	المعدل ٧٥٪	المعدل ٢٥٪	المعدل ٤١٪

المصدر : الدراسة الميدانية ، تحليل إستمارة الإستبيان .

جدول رقم (٣)

توزيع الاسر في مدينة بغداد حسب مستويات دخولها الشهرية مقدرة بالدينار العراقي

الدخل بالدينار	اقل من ١٠٠,٠٠٠	٤٠٠,٠٠٠ - ١٠٠,٠٠٠	٤٠٠,٠٠٠ فأكثر
عدد الاسر	٢٤٨	٥٢٣	٣٠٨
النسبة المئوية	٢٢,٩	٤٨,٥	٢٨,٥

المصدر : الدراسة الميدانية ، تحليل استمارة الاستبيان .

جدول رقم (٤)

توزيع السكان حسب المستوى التعليمي في مدينة بغداد

المستوى التعليمي	العدد	النسبة المئوية
أميون	٢٢٦	٢١
المرحلة الابتدائية	٣٧٧	٣٥
المرحلة الثانوية	٢٥٥	٢٣
المرحلة الجامعية	١٦٨	١٦
شهادات عليا	٥٣	٥

المصدر : الدراسة الميدانية ، تحليل استمارة الاستبيان .

المصادر والمراجع :

1. United Nation, World Urbonization Prospect , 1992 , Rew table . 11 , P. 28 . New York , P. 29 .

٢. محمود محمد صفوت. مراحل البحث الاحصائي .الطبعة الاولى. القاهرة. مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٦٢، ص٤٥ -٤٩ .

٣. تم استخراج عدد سكان بغداد وعدد الاسر فيها اعتماداً على البطاقة التموينية .مقابلة الباحثة لأحد المسؤولين في وزارة التجارة في آذار ٢٠٠٤ .

٤. خالص حسني الاشعب . مدينة بغداد نموها ، بنيتها ، تخطيطها ، الموسوعة الصغيرة ، العدد (١٠٨) ، بغداد .دار الجاحظ للنشر ، ١٩٨٢ . ص٥٧ .

٥ هارون فلايشر.تأثير التكنولوجيا على الاشكال الحضرية.حاضرة المستقبل .سلسلة المائة كتاب، ترجمة محمود حمندي. بغداد .دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٦، ص٩٣ .

الهوامش :

(*) اعتمد الباحث في توزيع استمارات الاستبيان على طلبة جامعتي بغداد والمستنصرية بكلياتهما العلمية والانسانية ،وكان ذلك في الفصل الدراسي الثاني للعام الدراسي٢٠٠٣ - ٢٠٠٤ وتلافياً للنقص الذي كان متوقعاً ان يحصل على مستوى وحدات بغداد البلدية تم توزيع(٢٥٠) استمارة عل طلبة الثانويات وبواقع مدرسة في كل وحدة بلدية ،وذلك حرصاً من الباحث على شمول كل وحدات بغداد البلدية ، تضمنت استمارة الاستبيان على (١٨) سؤالاً احتوت اسئلتها على كل ما يتعلق بفعاليات الاسر الاجتماعية .انظر الملحق رقم (١) .

(*) حسب تعداد عام ١٩٥٧ بلغ عدد الساكنين في بغداد ممن لم يولدوا فيها حوالي (٣٥٪) من مجموع السكان .